خطاب صاحب الجلالة بمناسبة اختتام مناظرة الأطباء المغاربة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

معشر الأطباء :

حضرات السادة :

كم كنا مسرورين حينما زف الينا وزيرنا في الصحة نبأ اجتماعكم في هذه المناظرة التي كنا ننتظرها منذ سنين، ذلك لأننا كنا دائماً نعتبر ومازلنا نعتبر. ونعتقد أن الأطباء في هذه البلاد هم من الفيالق ومن الجنود المجندة لخدمة البلاد والمشاركة في تنميتها وتوجيهها.

وكنا دائماً منذ صغرنا نعطي للفظ الطبيب ما يلزمه من الاحترام والتقدير.

ذلك أن هناك في الأسرة العربية على العموم والأسرة المغربية على الخصوص شخصين كانا دائماً محل التقديس والتكريم :

— الأستاذ الذي يعلم.

— والطبيب الذي يداوي.

وذلك لأننا سواء باللغة الفرنسية أو باللغة اللاتينية أو في اللغة العربية نسمي الطبيب حكيماً قبل أن نسميه طبيباً، والحكمة شيء يوتيه الله سبحانه وتعالى من اختص من عباده، فمعنى هذا كله أن الأطباء حكماء، وأنهم بمثابة أولئك الناس الذين يجلس أمامهم الخاص والعام والكبير والصغير والغني والفقير جلسة المسيحي في كرسي الاعتراف، لا رهبانية في الاسلام، ولكن الطبيب هو بمثابة الشخص الذي لا نخفي عليه شيئاً، سواء من مسائلنا الخاصة الذاتية المتعلقة بصحتنا أو حتى من مشاكل الأسرة.

كنت دائما أود الالتقاء بكم والاجتماع معكم، كما كان شأني مع المهندسين الفلاحيين أو مهندسي الأشغال العمومية، وها هو والحمد لله هذا اللقاء قد تحقق، وتحقق في جو من شأنه أن ينتج ومن شأنه أن يعطي ما نتوخاه.

حينما عينت وزير الصحة الدكتور ابن الماحي قلت له:

أريد أن لا تعتبر نفسك وزيراً للصحة العمومية، أو وزير القطاع الخاص، فأنت وزير عليه أن يسهر على شؤون الأطباء سواء كانوا في هذا القطاع أو ذاك، لأن المادة الخام هي مادة واحدة، فسواء جاء مريض مغربي للتداوي إلى طبيب الصحة العمومية أو طبيب القطاع الخاص فهو قبل كل شيء بشر وإنسان مريض مغربي.

وقلت له زيادة على هذا : عليك أن تفهم أن الأطباء ليسوا بمعزل عن المعركة السياسية بالمعنى الكبير، ليسوا بمعزل عن المعركة السياسية التي نخوضها، ألا وهي معركة النماء ومعركة التجهيز.

إنني أعلم أكثر من أي إنسان ما يواجه الأطباء من مشاكل، وانني لأعلم أن الطبيب قبل أن يتكون عليه أن يمر بالطور الثانوي ثم الطور العالي ثم طور التكوين، وحينما يتخرج من طور التكوين، إذا هو لم يسقط في أي امتحان من الامتحانات، يكون إذاك شاباً أو رجلا بلغ من العمر ما يناهز 27 أو 28 سنة، وحينما يبلغ الرجل ذلك السن يكون أمله ومطمحه أن يبني وكره ويتزوج ويعيش ويلد أولاده، فيكون من الظلم أن لا نعطيه من الامكانيات والمساعدات ما يجعله كفيلا بأن يكون أباً ساهراً على تربية أبنائه من جهة وطبيباً نزيهاً لا يطلب أكثر مما يمكن من الذين يعودونه، لذا كنت دائماً أولي لمهنتي التعليم والطب اهتماماً خاصاً، فكما أنني وعدت أسرة المعلمين والأساتذة بالنظر في مشكلتهم المادية والزيادة في أجورهم أعد كذلك الأطباء أنني سأعطي أوامري لحل مشكلة أجورهم، والحالة هذه أن الانعكاس المالي لن يتعدى 50 أو 60 مليون فرنك على الأكثر سنوياً.

بقيت هناك مشاكل متعددة الأطراف، ربما سيكون من الفضول أن أطرقها، ولكن كما قلت لكم كان لي دائما شغف بالطب، ربما تعاطيت المهنة بكيفية غير قانونية، ولكن الفرق بيني وبينكم هو أنني لم أقتل أحداً ولم أعالجه بكيفية مزعجة، ولكن هناك مسائل بالنسبة للتعليم، فحينما نتكلم مثلا عن «التبريز» يقع خلط في أذهاننا، فنخلط بين المتعاطي للمهنة مع لقب «مبرز» وبين التعليم الذي هو أساس «التبريز» فلذا وحتى إذا نال 30 أو 40 أو 50 طبيباً شهادة التبريز فليس معنى هذا أنهم سيكونون كلهم صالحين لممارسة التلقين، يمكن أن يمارسوا مهنتهم ويتعاطوها في مستشفيات مهمة وفي مراكز مهمة وفي عيادات خاصة، ولكن ليس من اللازم أن يكون كل واحد منهم مدرساً أو يكون أستاذاً، لأن التدريس والتبليغ شيء والعلم شيء آخر.

كما أن هناك مشاكل أخرى، مثل مشكلة مغربة الأطر، أنا على استعداد لمغربة الأطر في أقرب وقت ممكن، وهذا أملي، ولكن كل واحد منكم حتى ولو لم يعش هذه الفترة سمع في فترة ما أن أطباء كباراً درسوا في العيادات ويرافقونهم فراشاً بفراش، يوماً بيوم، قضية بقضية، حالة بحالة، فهذا النوع من العلماء، من الأطباء من الحكماء يوجد عندنا.

ويوم نتوفر عليهم ويوم نختارهم من النخبة التي اجتازت «التبريز» والتي ستكون استكملت الطب بجهتيه المهني والتعليمي، إذذاك يمكن للمغربة أن تتحقق على جميع المستويات.

أنا في هذه المسألة لا أريد أن أشرع، يمكن لمحام أن يخسر قضية ويأخذ الانسان ملفه من المحامي ويقول له أنا ذاهب إلى محام آخر لعل وعسى يجد لي حلا، ولكن فيما إذا ذهب إنسان إلى الطبيب وأفسده فيمكن لبعض الأمراض والاجراءات التي هي دون رجعة أن تصبح عواقبها لا تقبل الاستئناف ولا النقض والابرام، تكون مبرمة عند حدوثها وعند وقوعها، فلذا أود أن يكون جميع الأطباء هنا والأطباء الذي يستمعون لخطابي، أن يعرفوا أنهم من أسرة هي من أقرب الأسر إلي وأعزها علي.

إنني اطلعت على مناظرتكم وعلى جميع ماراج فيها من مذاكرات، وأزيد فأقول لكم إنني انهمكت على نقطة خاصة وهي نقطة الخدمة العسكرية، إنكم تقترحون عمل مدة شهرين في كل سنتين أو سنة كيف ما كان الحال، أنا أقول ان شهرين لن ينفعاكم أنتم ولا المغرب.

أقترح أن السنتين المدنيتين اللتين تقضونهما اجباريا تكونان في آن واحد هي خدمتكم العسكرية، فيكون

إذاك عندكم حقل للتجارب والأمراض والعمليات التي ستكون مطابقة لما لكم من معلومات وما لكم من تمرينات.

فبدلا من أن تؤدوا الخدمة العسكرية مجزأة والخدمة المدنية سنتين نجمع بين هذه وتلك عند انتهائكم من الدراسة ويقع توزيعكم على ضوء ما تراه الوزارة حتى يتسنى سد حاجة الثكنات والمجموعات العسكرية.

فنحن بصدد النظر في تشريع يجعل كل إطار عالي تخرج من مدرسة عليا يلزمه أن يعطي للدولة سنتين من المعلومات التي تلقاها في الكليات.

وحين ما أذكر الأطباء أذكر كذلك الصيادلة، اننا نلاحظ أنه إذا استثنينا ثلاثة أو أربعة مختبرات في المغرب كله لن نجد مختبراً يعطينا النتائج الحسنة، مختبر كان في حوزة أوربي هنا لم يبق، مختبران في الدار البيضاء معروفان، وماعدا هذه المختبرات لم نعد نتوفر على مختبرات لائقة، يجب أن تعرفوا أن الطب أصبح كله «بيوكميائي» أكثر مما هو طب فقط، إنه مشكلة التغذية ومشكلة تحليل الدم.

هناك عدد كبير من المشاكل لا يمكن لي أن أتطرق إليها، لأنني لا أريد أن أخلط بين العربية والفرنسية ولكن هناك ألفاظاً تقنية لا أعرف ترجمتها أو ربما لا يمكن لها أن تترجم إلى العربية، وهذا مما يحتم علينا أن نعود لنراجع حتى فكرة التعريب بكيفية مبدئية نهائية، التعريب هو أن نعرف العربية، ولكن يجب معرفة لغة أخرى، ولا أرى كيف يمكننا أن نسمي (الترازامبيناز) و(مكلاكين) وبالنسبة للصيادلة يصعب ترجمتها فلهذا لابد من مراجعة عدد من المسائل فيما يخص تعليمكم.

حتى الصيادلة لابد لهم من سنتين من العمل الاجباري في جهات وفي مختبرات، لأن المغرب في حاجة إلى مختبرات، وأملي أن يصبح المغرب بلاداً ذات جاذبية من ناحية البحث فيما يخص الأمراض الافريقية وأمراض البحر المتوسط، وكلكم يعلم أن لكل المستويات الجغرافية ولكل محيط جغرافي أمراضاً خاصة، وأنا مع تقديري الكامل ومحبتي الكاملة لفخامة رئيس جمهورية السينغال والتقدير الذي أكنه لكلية الطب بدكار أريد أن تكون كلية الطب بالمغرب من الكليات المختصة في الأمراض الافريقية وأمراض البحر المتوسط، وهذا يتطلب البحث ويتطلب المختبرات، والعلماء والباحثين والأطباء، والناس الذين يعرفون حقيقة كيف يوفقون بين معطيات الحديث القائل :

(إن لأهلك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، وان لدينك عليك حقاً)، وان لمرضاك عليك حقاً أيضاً.

يمكنكم بكل صراحة أن ترفهوا عن أنفسكم، وأن لا تعيشوا عيشة التقتير، وفي آن واحد تبحثون وفي آن واحد تنتجون، وفي آن واحد تؤلفون، وفي آن واحد تصلون بالمغرب إلى الأوج الذي نريده له، وهو أوج الاشعاع.

دائماً كنت أقول لكم ان الغزوات على الشكل القديم قد انقضت، فالمغرب لا يتدخل في المشاكل الداخلية للدول الأخرى، ولا نريد تحت شعار الاعانة التقنية أن نتدخل كجواسيس أو نتدخل في أنظمة، ولكن المغرب أمله أن يصير اسمه مذكوراً في البلاد المجاورة، بل حتى في القارات الأخرى، وما هذا على عزيمة الشباب المغربي بعزيز، وما هو كذلك على عزيمة الأطباء المغاربة بعزيز، ولي الأمل أن تتكرر في كل سنة مثل هذه المناظرة،



وفي كل سنة يكون لي السرور لكي ألقى كلمتي الاختتامية.

وقبل أن أختتم هذه الكلمة أنبه وزير الصحة إلى أن تشكيلة المجلس الأعلى للأطباء ربما كانت رقعتها ضيقة، لهذا أود منه أن يوسعها وأريد منه، ودون أن يقع خلط، أن يوسعها فيما يخص الأطباء، ولكنني أطلب منه أن يجمع الممرضين وحدهم ويعمل معهم الشيء الذي عملناه في القضاء.

هناك مثلا جامعة العدول، وهناك جامعة القضاة، وهناك المجموعة التي يتكون منها جميع المعنيين بالقضاء فهناك أطباء، وهناك من يساعدونهم، فمجلس الطب يجب أن يتوسع، ويجب عليك أن تجمع الممرضين والمولدات والممرضات ويتكون من كل هذه الطبقات مجلس حتى نستطيع النظر في مشاكلهم وتكوينهم، وفي مستقبلهم.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يزيد في حكمتكم أنتم الحكماء والأطباء حتى يعيش هذا البلد كما نريد أن يعيش : تفكير سليم في جسم سليم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

الأحد 3 ذي القعدة 1389 — 11 يناير 1970